

دخول مكة كما يصفه المسلمون

رسالة الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ،

(.. أما بعد ، فأنا معشر غزو الموحدين ، لما من الله علينا وله الحمد بدخول مكة المشرفة نصف النهار يوم السبت ثامن شهر محرم الحرام سنة ١٢١٨ هـ . بعد أن طلب أشرف مكة وعلمائها وكافة العامة من أمير الغزو سعود ، حماء الله ، الأمان وقد كانوا تواطأوا مع أمراء الحبيج وأمير مكة على قتاله ، أو الإقامة في الحرم ليصدوه عن البيت ، فلما زحفت أجناد الموحدين ألقى الله الرعب في قلوبهم فنفرقوا شذر مذر كل واحد يعدّ الإياب غنيمة ، وبذل الأمير حينئذ الأمان لمن بالحرم الشريف ، ودخلنا شعارنا التلبية آمنين ، محلقين رؤوسنا ومقصرين ، غير خائفين من أحد من المخلوقين ، بل من مالك يوم الدين .

ومن حين دخل الجند الحرم وهم على كثرتهم ، مضبوطون متأدبون لم يعضدوا به شجراً ، ولم ينفروا صيداً ، ولم يريقوا دمماً إلا دم الهدى أو ما أحل الله من بهيمة الانعام على الوجه المشروع .

ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الأحد ، وعرض الأمير عافاه الله على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه ، وهو : إخلاص التوحيد لله تعالى ، وحده ، وعرفهم أنه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع ، إلا في أمرين .

أحدهما : إخلاص التوحيد لله تعالى وحده ، ومعرفة أنواع العبادة ، وان الدعاء من جملتها ، وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل الناس عليه نبينا محمد ﷺ ، واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة ، إلى ذلك التوحيد وترك الاشراك ، قبل أن تفرض عليه أركان الإسلام الأربعة .

الثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي لم يبقَ عندهم إلا اسمه ، وانحى أثره ورسمه .

فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلاً ، وبايعوا الأمير على الكتاب والسنة ، وقبل منهم وعفا عنهم كافة ، فلم يحصل على أحد منهم أدنى مشقة . ولم يزل يرفق بهم غاية الرفق لا سيما العلماء ، ويقرر لهم ، حال اجتماعهم وحال انفرادهم لدينا ، أدلة ما نحن عليه ، ويطلب منهم المناصحة والمذاكرة وبيان الحق . وعرفناهم بأن صرح لهم الأمير حال اجتماعهم بأننا قابلون ما وضحو برهانه من كتاب أو سنة أو أثر عن السلف الصالح ، كالخلفاء الراشدين المأمورين باتباعهم بقوله ﷺ : (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي) ، وعن الأئمة الأربعة المجتهدين ، ومن تلقى العلم عنهم إلى آخر القرن الثالث لقوله ﷺ : (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) .

وعرفناهم أننا دائرون مع الحق أينما دار ، وتابعون للدليل الجلي الواضح ، ولا نبالي حينئذ بمخالفة ما سلف عليه من قبلنا .

فلم ينقموا علينا أمراً ، فألحينا عليهم في مسألة طلب الحاجات من الأموات ، ان بقي لديهم شبهة ، فذكر بعضهم شبهة أو شبهتين ، فرددناها بالدلائل القاطعة من الكتاب والسنة حتى أذعنوا ، ولم يبق عند أحدهم شك ولا ارتياب فيما قاتلنا الناس عليه أنه الحق الجلي الذي لا غبار عليه ، وحلفوا لنا الايمان المعقدة ، من دون استحلاف لهم ، على انشراح صدورهم وجزم ضمائرهم انه لم يبق لديهم شك في من قال : يا رسول الله أو قال : يا ابن عباس ، أو يا عبد القادر أو غيرهم من المخلوقين ، طالباً بذلك دفع شر أو جلب خير من كل ما لا يقدر عليه الا الله تعالى من شفاء المريض والنصر على العدو والحفظ من المكروه ، ونحو ذلك ، أنه

مشرك الشرك الأكبر الذي يهدر دمه ويبيع ماله ، وان كان يعتقد أن الفاعل المؤثر في تصريف الكون هو الله وحده ، لكنه قصد المخلوقين بالدعاء متشفعاً بهم ومتقرباً لهم لقضاء حاجة من الله بسترهم وبشفاعتهم له فيها أيام البرزخ ، وأن ما وضع من البناء على قبور الصالحين صارت في هذه الأزمان أصناماً تقصد لطلب الحاجات ويتضرع عندها ، أو يهتف بأهلها في الشدائد ، كما كانت تفعله الجاهلية الاولى .

وكان من جملتهم : مفتي الحنفية الشيخ عبد الملك القلعي ، وحسين المغربي مفتي المالكية ، وعقيل بن يحيى العلوي .

فبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يعبد بالتعظيم ، والاعتقاد فيه ورجاء النفع ودفع الضرر بسببه ، من جميع البناء على القبور وغيرها ، حتى لم يبقَ في البقعة المطهرة طاغوت يُعبد ، فالحمد لله على ذلك .

ثم رُفِعت المكوس والرسوم ، وكُسرت آلات التنباك ، ونودي بتحريمه ، وأُحرقت أماكن الحشاشين والمشهورين بالفجور ، ونودي بالمواظبة على الصلاة في الجماعات وعدم التفرق في ذلك ، بأن يجتمعوا في كل صلاة على إمام واحد ، يكون ذلك الإمام من أحد المقلدين للأربعة ، رضوان الله عليهم .

واجتمعت الكلمة حينئذ ، وعبد الله وحده ، وحصلت الالفه ، وسقطت الكلفة ، وأمر عليهم ، واستتب الأمر من دون سفك دم ، ولا هتك عرض ولا مشقة على أحد ، والحمد لله رب العالمين .

ثم دفعت لهم الرسائل المؤلفة للشيخ محمد - رحمه الله - في التوحيد ، المتضمنة للبراهين وتقرير الأدلة على ذلك بالآيات المحكمات والأحاديث المتواترة ، مما يثلج الصدور . واختصر من ذلك رسالة مختصرة للعوام تنشر في مجالسهم ، وتدرس في محافلهم ، ويبين لهم العلماء معانيها ، ليعرفوا التوحيد فيتمسكوا بعروته الوثقى ، ويتضح لهم الشرك فينفروا عنه ، وهم على بصيرة آمنين .

وكان فيمن حضر مع علماء مكة وشاهد غالب ما صار : حسين بن محمد بن الحسين ، الأبريقي الحضرمي ، ثم اللحياني ، ولم يزل يتردد علينا ، ويجتمع بسعود

وخاصته من أهل المعرفة ، ويسأل عن مسألة الشفاعة التي جرّد السيف بسببها من دون حياة ولا خجل ، لعدم سابقة جرم له ، فأخبرناه بأن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنّة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف ، التي هي الطريقة الأسلم والأعلم والأحكم الخ ...

ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم ، لعدم ضبط مذاهب الغير ، كالرافضة والزيدية والإمامية ^(١) ونحوهم ، ولا نقرّهم ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة ^(٢) .

رواية ابن دحلان :

يقول أحمد بن زيني دحلان أن رجال نجد لم يكونوا يريدون الهجوم على مكة خلال موسم الحج ، حتى لا يشتبكوا في قتال مع الحاج الشامي والمصري ، فبقوا في الطائف حتى انقضى الحج وعاد الحجاج الى بلادهم ، فساروا يغيوشهم الى مكة ، واستنجد الشريف غالب بأمرأء الحج لمساعدته في قتال الموحدين

(١) كتب ناشر الرسالة ، الشيخ محمد رشيد رضا : ان كلمة الرافضة ، التي وضعت لفلاة الشيعة ، تشمل الباطنية دون الزيدية ومعتدلي الامامية .

والظاهر أن صاحب هذه الرسالة ووالده لم يطلعا على كتب الزيدية في الفقه ، ولو اطلعا عليها لعلموا أن فقههم مدون ، وكذلك الامامية ، وأن الفرق بينه وبين فقه الأربعة قليل ، قلما قال أحد مجتهديه قولاً انفرد به وخالف الاجماع قبله ، وكيف وهم يحتجون بالاجماع وبعمل السلف ، وكذا بأحاديث دواوين السنة المشهورة ، كالكتب الستة ..

وقد كان مشايخنا يولون - كما يقول مشايخ نجد - ان سبب حصر التقليد في فقه الأربعة ، دون سائر مجتهدي الأمة ، هو تدوين مذاهبهم دون غيرها . وهذا غلط ، سببه عدم الاطلاع !

(٢) أي لا نقر بصفتنا حكام البلاد أصحاب المذاهب غير المضبوطة علي أن يظهروا شيئاً من مذاهبهم الفاسدة بالاجماع كأقوال الباطنية بأن لأحكام العبادات معاني غير الظاهر الذي عليه العمل ، وبوجود إمام معصوم في كل عصر يجب اتباعه في كل ما يقول .. ومقابل قوله ظاهراً : انهم لا يحاسبون أحداً على ما يخفيه من أمثال هذه المسائل .

فرفضوا مدعين أن المال ينقصهم ، فتمهد لهم بالمال فاعتذروا .. وقالوا نكتب سعوداً لعله يلين ويهادن .. وكتبوا سعوداً فأجابهم (وأكثر من التهديدات وأظهر لهم أنه في غاية القوة ، ثم أعادوا المراسلة .. فأنذروهم بعدم البقاء في مكة فوق ثلاثة أيام ..) فسافر أمير الحج الشامي عبد الله باشا العظم ، وأمير الحج المصري عثمان بك فرجي ، ثم سافر شريف باشا والي جدة .. وبقي الشريف غالب وحيداً .. وأدرك عجزه عن المقاومة ، فهرب هو أيضاً الى جدة .

يجمع ماله ويحرق داره :

ويقول الجبرتي : ان الشريف غالب إنما استبقى أمراء الحج أياماً معدودة في مكة ليستطيع جمع أمواله ونقلها الى جدة ، قبل أن يفاجئه سعود ، وقد حقق غايته ، وأحرق داره في مكة بعد إخلائها ونزل الى جدة .

كتاب الاستسلام وطلب الأمان :

بقي الشريف عبد المعين بن مساعد في مكة ، بعد هرب أخيه ، فجمع وجهاء مكة لتذاكر الموقف ، فقرروا الاستسلام ، وهذا ما قاله ابن دحلان :
(عند ذلك أرسل الشريف عبد المعين بن مساعد كتاباً الى سعود مع القائد حامد بن سليم آغا ، وطلب منه أماناً لجيران بيت الله الحرام ، وأن لا يخفر لسكان مكة ذمام ، وأن يكون هو عامله فيها ، وأن أهل مكة تحت طاعته ، وأرسل أهل مكة رسلاً من أفاضل العلماء وأهل البيت النبوي - منهم محمد طاهر سنبل وعبد الحفيظ العجمي ومحمد بن محسن العطاس والسيد محمد ميرغني - واجتمعوا بسعود بوادي السيل ، على مرحلتين من مكة ، وطلبوا منه الأمان ، فأجابهم :

(إنما جئكم لتعبدوا الله وحده وتهدموا الأصنام والطواغيت ولا تشركوا بالله الذي يحيي ويميت) .

فأجابه الشيخ طاهر بقوله : والله ما عبدنا غير الله .

فمد لهم يده وقال : عاهدتكم على دين الله ورسوله ، وتوالون من والاه وتعادون من عاداه ، والسمع والطاعة .

فعاهدوه على هذا المقال .. وأمر كاتبه أن يكتب كتاب الأمان ، ليحصل لأهل مكة الاطمئنان ، في كاغد لم يزد عن الخمس الأصابع ، وهذا ما هو مذكور فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود بن عبد العزيز

الى كافة أهل مكة والعلماء والاغوات وقاضي السلطان ،

السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد .. فأنتم في وجه الله ثم وجه أمير المؤمنين سعود بن عبد العزيز ، وأميركم عبد المعين بن مساعد ، فاستمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله ، والسلام) .

وكان وصول هذا الكتاب يوم الجمعة ٧ محرم ١٢١٨ هـ . فصعد به المنبر السيد حسين مفتي المالكية بعد صلاة الجمعة وقرأه .

صفة دخول سعود الى مكة :

في ٨ محرم وصل سعود مكة ودخل 'محرمًا فظاف وسمى ونحر الإبل ، ثم صعد بستان الشريف الذي في المحصب .

وفي اليوم الثاني نادى مناديه بأن سكان البلد الحرام يجتمعون في المسجد غدًا ضحوة النهار ، فاجتمعت الناس على صفاتها ، وحضر اشريف عبد المعين ومن بمكة من الأشراف والقاضي ومفتي مكة الشيخ عبدالله القلمي وبقية المفتاي العلماء ، وما زالت الناس في اجتماع وائتلاف ، وسعود في المطاف ، ثم أقبل وصعد بأعلى درج الصفا ، والناس ينظرون له ويسمعون قوله ، فأخذ المفتي عن يمينه ، والقاضي عن شماله ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

(الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، والحمد لله الذي صدقنا وعده ..

ثم قال :

يا أهل مكة ، أنتم جيران بيته ، آمنون بأمنه وسكن حرمة ، وأنتم في خير

بقعة ، اعلّموا ان مكة حرام ما فيها ، لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يعصد شجرها ، وإنما أحلت ساعة من نهار .

وإنا كنا من أضعف العرب ، ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا اليه وكل مهزأ بنا ويقاثلنا عليه وينهب مواشينا ونشتريها منهم ، ولم نزل ندعو الى الإسلام وجميع من تراه عيونكم ومن تسمعون به من القبائل إنما أسلموا بهذا السيف — ورفع سيفه بحاه البيت الحرام حتى رآه الخاص والعام — وقد كنت في هذا العام غازياً نحو العراق ، فلما سمعت ما وقع من المسلمين بغزوة الطائف ، وأقبلوا عليكم يغزونكم خفت عليكم من العربان والبادية ، فاحمدوا الله الذي هداكم للإسلام وأنقذكم من الشرك ، وأنا أدعوكم أن تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك الذي كنتم عليه ، وأطلب منكم أن تبايعوني على دين الله ورسوله وتوالون من والاه وتعادون من عاداه في السراء والضراء والسمع والطاعة) .

ثم جلس ، ومد يده ، فأول من تقدم لمبايعته الشريف عبد المعين ، ثم المفي فالقاضي فبقية الناس ، فلما تمت المبايعه ركب فرسه وصعد إلى المحسب ، وقال قبل ركوبه :

يا أهل مكة ، انتظروني بعد صلاة العصر بالمسجد الحرام ، بين الركن والمقام ، لأبين لكم الدين وشرائط الإسلام .

فلما كان العصر اجتمعوا ، فجاء وصعد المقام الذي على ظهر زمزم ، والمفاتي معه .. وهنا يذكر ابن دحلان — وهو خصم — كلاماً غير لائق ، خلاصته ان ما قاله سعود يعرفه حتى جهلاء أهل مكة ، وان سعوداً طلب من أهل مكة في نهاية كلامه أن يطلعوا للقبب ويهدموها ويطرحوا الأصنام ويرموها حتى لا يكون معبود غير الله .

فقالوا : سمعاً وطاعة ، فما أصبح الصباح إلا وهم سارحون بالمساحي لهدم القبب ، فبادر الوهابيون ، ومعهم كثير من الناس ، لهدم القبب .. فهدموا ما في المعلى من القبب ...

وفي اليوم السادس من أيام إقامته نادى مناديه بإبطال تكرار صلاة الجماعة

في المسجد الحرام ، فكان يصلي الصبح الشافعي ، والظهر المالكي ، والعصر الحنبلي ، والمغرب الحنفي .

ثم طلب قبائل العرب التي حول مكة ، فبايعوه وأخذ منهم شيئاً من المال .
ووضع في قلعة مكة مائتين من بيضة ، وجعل أميراً عليهم فهيد بن شكبان .
ومدة إقامته بمكة أربعة عشر يوماً .

رواية الجبرتي :

في صفر سنة ١٢١٨ هـ . حضر (إلى القاهرة) الشريف عبد الله بن سرور ، وصحبته بعض أقاربه من شرفاء مكة وأتباعهم نحو ستين نفرأ ، وأخبروا أنهم خرجوا من مكة مع الحجاج ، وأن عبد العزيز الوهابي دخل إلى مكة من غير حرب ، وولى الشريف عبد المعين أميراً على مكة والشيخ عقيل قاضياً ، وأنه هدم زمزم والقباب التي حول الكعبة والأبنية التي أعلى من الكعبة ، وذلك بعد أن عقد مجلساً بالحرم وباحثهم على ما الناس عليه من البدع والمحرمات المخالفة للكتاب والسنة ، وأخبروا أن الشريف غالب وشريف باشا ذهباً إلى جدة وتحصنا بها وأنهم فارقوا الحجاج في الجديدة .

... وحضر صحبة الحجاج كثير من أهل مكة هروباً من الوهابي ، ولفظ الناس في خبر الوهابي واختلفوا فيه ، فمنهم من يجعله خارجياً ... وهم المكيون ومن تابعهم وصدق أقوالهم ... ومنهم من يقول بخلاف ذلك ، لخلو غرضه .

وأرسل إليّ شيخ الركب المغربي كتاباً ، ومعه أوراق تتضمن دعوته وعقيدته وصورتها ...

الدعوة الإسلامية السلفية :

وقد نقل الجبرتي في تاريخه نص رسالة أمر الإمام سعود بتوزيعها وتعميمها ، وهي واحدة من رسائل كثيرة كتبها الإمام سعود ورؤساء الدعوة وبينوا فيها

العقيدة الإسلامية التي يدينون بها والتي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،
وهذا نص الرسالة كما وردت في تاريخ الجبرتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه نستعين، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله الله فلا هادي له .
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله .
من يُطِيعِ الله ورسوله فقد رشد، ومن يَعَصِ الله ورسوله فقد غوى ولا يضر إلا
نفسه ولن يضر الله شيئاً ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فقد قال الله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا
ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الإسلام ديناً ﴾ .

فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله ﷺ ، وأمرنا بلزوم
ما أنزل إلينا من ربنا وترك البدع والتفرق والاختلاف .

وقال تعالى : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ،
قليلاً ما تذكرون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ .

والرسول ﷺ قد أخبرنا بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر
وذراعاً بذراع وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه ﷺ أنه قال (لتتبعن سنن من

كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه ، قالوا :
يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن !
وأخبر في الحديث الآخر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في
النار إلا واحدة ، قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا
عليه اليوم وأصحابي !

إذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها
الإشراك بالله ، والتوجه إلى الموتى ، وسؤالهم النصر على الأعداء ، وقضاء الحاجات
وتفريج الكربات ، التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسموات !

وكذلك التقرب إليهم بالندور ، وذبح القرбан ، والاستغاثة بهم في كشف
الشدائد وجلب الفوائد ، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله .
وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لأنه سبحانه وتعالى أغنى
الأغنياء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً ، كما قال الله تعالى :
﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين . ألا لله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه
أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى . إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه
يختلفون . إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ .

فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين إلا ما كان خالصاً لوجهه ، وأخبر أن
المشركين يدعون الملائكة والأنبياء الصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى ويشفعوا لهم
عنده ، وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار .

وقال تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ، ولا في الأرض
سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ .

فأخبر أنه من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة ، فقد عبدهم
وأشرك بهم ، وذلك أن الشفاعة كلها لله ، كما قال تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع
عنده إلا بإذنه ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم ﴾ ،
وقال تعالى : ﴿ فيومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً ﴾ ،

وهو سبحانه وتعالى لا يرضى إلا التوحيد ، كما قال تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله ، كما قال تعالى : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴾ فإن فعلت ذلك فإنك إذن من الظالمين .

فاذا كان الرسول ﷺ ، وهو سيد الشفعاء وصاحب المقام المحمود ، وآدم فمن دونه تحت لوائه ، لا يشفع إلا بإذن الله ، لا يشفع ابتداءً ، بل يأتي فيخبر الله ساجداً فيحمده بحامد يعلمه إياها ، ثم يقال : إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ! ثم يجد له حداً فيدخلهم الجنة ! فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء ؟

وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الأصحاب والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهاجهم .

وأما ما حدث من سؤال الأنبياء والأولياء من الشفاعة بعد موتهم وتمظيم قبورهم ببناء القباب عليها وإسراجها والصلاة عندها واتخاذها أعياداً وجعل السدنة والنذور لها ، فكل ذلك من حوادث الأمور ، التي أخبر بها النبي ﷺ أمته وحذر منها ، كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال : (لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فتام من أمتي الأوثان) . وهو ﷺ حمى ضباب التوحيد أعظم حماية وسد كل طريق يؤدي إلى الشرك ، فنهى أن يخصص القبر وأن يبنى عليه ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر ، وثبت فيه أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه ولا تمثالاً إلا طمسه . ولهذا قال غير واحد من العلماء : يجب هدم القباب المبنية على القبور لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ .

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس ، حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا ، حتى نصرنا الله عليهم وظفرونا

بهم ، وهو الذي ندعو الناس اليه ونقاتلهم عليه ، بعد ما نقيم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف الصالح من الأمة ، ممثلين لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ ، فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان ، كما قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ .

وندعو الناس إلى إقامة الصلوات في الجماعات على الوجه المشروع وإيتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام ، ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ، كما قال تعالى : ﴿ الذين إن مكثناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ .

فهذا هو الذي نعتقده وندين الله به ، فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم له ما لنا وعليه ما علينا .

ونعتقد أيضاً أن أمة محمد ﷺ المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة ، وأنه لا تزال طائفة من أمة على الحق منصوره ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك . (رأي الجبرتي :

ويقول الجبرتي ، بعد إirاده لنص الرسالة ، ما يلي : أقول : إن كان كذلك ، فهذا ما ندين الله به نحن أيضاً ! وهو خلاصة لباب التوحيد ، وما علينا من المارقين والمتعصبين ؟

وقد بسط الكلام في ذلك ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان) ، والحافظ المقرئ في (تجريد التوحيد) ، والإمام اليبوسى في شرح الكبرى ، وشرح الحكم لابن عياد ، وكتاب جمع الفضائل وقمع الرذائل وكتاب مصايد الشيطان ، وغير ذلك .